مغتاظة على الكفار واما المعتزلة فقد احتاجوا الى التاويل قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة
الموكلة بتعذيب اهل النار لان التغيظ يصح منهم ولا يصح من النار فهو كقوله تعالى واسئل القرية اي
اهلها قوله صوت تغيظ لما كان التغيظ عبارة عن شدة وذلك لا يكون مسموعا ذكر في توجيه الكلام
ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع ما يدل عليه من الصوت وهو كما يقال اما رأيت غضب الملك
على فلان اذا رأى ما يدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قوله في مكان
يعني ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها في محل النصب على الحال من مكانا لانه في الاصل صفة له و
مقرنين حال من مفعول القوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روي عن ابن عباس انه قال ان
جهنم لتضيق على الكافر كما يضايق الزج على الرمح والزج الحديدة التي في رأس الرمح وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد
الحائط ولقد جمع الله تعالى على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد
ليكون ذلك لهم عذابا فوق العذاب قوله والاستفهام جواب عما يقال كيف يتصور الشك في ان ايهما
خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل ان يقول السكر احلى ام الصبر واجاب ان
ذلك يحسن في معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعد لمن كذب بالساعة اتبعه
بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له وتهكما به وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل
عنها اهلها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاي فائدة في اضافتها الى الخلد اشار الى جوابه بقوله
واضافتها للمدح كما ان الصفة قد تكون للمدح فكذا الاضافة اولان اسم الجنة لا يدل الا على البستان الجامع
لوجوه البهجة ولا مدخل للخلود في مفهومها فاضيفت اليها للدلالة على خلودها قوله بالوعد اي لا
بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لا يجب على الله تعالى عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى
وعد المتقون فان الموعود لا يكون واجبا على من وعد به قبل الوعد وانما وجب عليه انجاز الموعود بمقتضى
الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين الاول ان لهم الجزاء لا يتناول
الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لا يسمى جزاء والثاني انه لو كان المراد من الجزاء الامر
الذي يصيرون اليه بمجرد الوعد لما بقي فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير
فائدة وقال اصحابنا لا نزاع لاحد في كونه جزاء انما النزاع في ان كونه جزاء ثبت بالوعد او

في ... فيها الى ... ذكرها لتضييق المكان

بالاستحقاق

بالاستحقاق وليس في الآية ما يدل على التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد بالادلة المنفصلة قوله
كانت بلفظ الماضي مع ان الجنة ستصير لهم جزاء ومصيرا في المستقبل مبني على انه تعالى كتب في اللوح
قبل ان خلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم او كان ذلك في علمه الازلي قوله ولا يمنع كونها جزاء لهم
ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر
ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزاء على اعمالهم بقوله تعالى كانت لهم
جزاء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفى الله تعالى عنهم وادخلهم الجنة التي
اختصت بالمتقين وقد كانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء
حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجوابين ظاهر قوله ولعله يقصر همة كل طائفة جواب عما
يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد ان يريدوها ويسألوها فاذا سألوها
فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك
في قوله لهم فيها ما يشاؤن وفي قوله وفيها ما تشتهيه الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النيران
واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل الله تعالى ذلك فقدح في ان عذاب الكافر
مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤن مما يليق برتبتهم وانه تعالى لا يلقي الى خواطرهم
ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل احد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى
حال غيره قوله حال من احد ضمائرهم والمعنى الذي يشاؤنه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذي
يشاؤنه حاصل لهم حال كونهم خالدين حاصل لهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في
وعده والمعنى كان ذلك الذي يشاؤنه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذي يمتنع
الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه
حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزاء واجرا مستحقا عليه تعالى لان العبد لا يستوجب عليه شيئا بل كل
ما يصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لما وجب عليه تعالى انجاز الموعود ولئن كان ذلك
بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه كونه ملجأ الى الانجاز غير قادر على تركه ومن كان
ملجأ الى الفعل غير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك والله ذو الفضل العظيم يختص
برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الالجاء لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي

الى الانجاز

و في قوله وفيها ما تشتهي
الانفس وتقرير الجواب
ان المراد لهم فيها ما
يشاؤن ... واشار
الى الغاية

Copyright © King Saud University